يصرّح ابن المعتز بسبقه إلى التأليف البلاغي فيقول : « وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد »[1] . ولم يكن البديع عنده يعني ما يعنيه اليوم من فنون بديعية ، وإنما هو عنده فنون بلاغية متنوعة كما سنرى .

ولا يعني سبقه إلى التأليف في (البديع) أنه أول من أطلق هذا اللفظ أو استعمل هذه الكلمة ، بل لقد استعملها غيره ممن جاء قبله كالجاحظ مثلاً ، ولكن ابن المعتز كان أول من أفرد للبديع كتاباً وخصّه بالتأليف ، وكان أول من حاول جمع فنون البديع في كتاب واحد .

ويعلن ابن المعتز بعد ذلك أنه وضع كتابَه ، وغايتُه أن يعيد الفضل إلى أصحابه ، ويدحض باطل المجدّدين وأنصارهم ، ويكشف زيف ما يدّعونه من اختراع البديع . وكيف يدّعون اختراعه وهو قديم ، ومنه نماذج كثيرة معروفة في كتاب الله تعالى وحديث نبيّه ﷺ وأشعار العرب ؟ على أنه لا مراء في أنهم إذا لم يسبقوا إليه فقد سبقوا إلى الإكثار منه ، وفي أنهم إذا لم يبتكروه فقد تفرّعوا فيه وزادوا عليه .. يقول ابن المعتز : « قد قدّمنا في

(١) البديع : ١